واحة الأسرة

8 ركائز.. دور الأسرة في تلبية مراحل نمو الطفل من سن 3 إلى 6 سنوات



الأربعاء 4 نوفمبر 2020 12:48 ص

يمر الطفل منذ مولده حتى بلوغه سن الرشد بالكثير من التغيرات كما قال الله تعالى: "هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۚ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (غافر، 67). ولكن الفترة العمرية ما بين الثلاث والست سنوات تعد من أهم مراحل التربية والتنشئة، وخاصة وأن هذه المرحلة توصف بمرحلة التقليد وفيها يقلد الطفل لسلوك من حوله.

وللأسرة دور كبير في تلبية احتياجات نمو الطفل، لذا يتوجب عليها التركيز على بعض العناصر من أجل الحصول على نشأ يخاف الله، ونذكر من هذه العناصر ما يلي:

تعليم الطفل معرفة الله والأحكام: على الأبوين تعليم الطفل معرفة الله تعالى والأحكام الشرعية. من الأمور المهمة التي يجب أن يتعلمها الطفل في هذه المرحلة، والتي تعطيه الأمل في الحياة الاجتماعية والدينية؛ معرفة الخلق والخالق، والحلال والحرام، وغير ذلك من المسائل الضرورية والتي تتناسب مع سنه وعقله، وأن تكون بالتسلسل والتدرج ودون إكراه وعنف.. وقد أثبت علم النفس الحديث صحة هذا التعليم، والطفل في هذه المرحلة يكون مقلدًا لوالديه في كل شيء بما فيها الإيمان بالله تعالى، والالتزام بالأحكام الشرعية والأخلاقية، والطفل بين السنة الثالثة والسادسة يحاول تقليد الأبوين في كل شيء.

التركيز على حب النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَدِّبُوا أَولَادَكُم على ثَلاثِ خِصَالٍ: حُبِّ نَبِيِّكُم، وَحُبِّ أَهلِ بَيتِهِ، وَقِرَاءَةِ القُرآنِ". وأفضل طريق لتركيز حب النبي وحب أهل بيته هو الأسلوب القصصي، تجلس مع الطفل في أوقات الفراغ أو قبل النوم وتقص عليه بعض المواقف من حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

التركيز على قراءة القرآن: وحق الأمة وحق الرسالة أن تكون الأسرة وامتداد نفوذها وتأثيرها في المدرسة والجامعة قد غذّت الولد منذ صباه الباكر بالقرآن والتوحيد. أول كلمة تفرحين بها تخرج من فم الصبية والصبي لا إله إلا الله. وأول جملة قل هو الله.

ثم يكون القرآن محور العملية التربوية ومورد العلم وجامع العلوم. لاسيما في السنوات التسع الأولى حين يتكون النسيجُ الأساسي للشخصية. هل يستوي في فرص تعلق الإيمان بالقلب مَن غذينه بالأغاني رضيعا ومن ألقمنهُ مع ثدي اللبن ثدي التغني بالقرآن؟ قلت: فُرص التعلق. وإلا فالهداية الإلهية والرحمة تصيب من شاء الله كما يشاء الله".

تعويده على الخير: كحضور صلاة الجمعة والجماعة، وزيارة الأهل والأحباب. ويشجع الصبيان والغلمان والفتيات على كل حميد من الخلق وجميل من الأفعال مما يقربهم إلى الله ويبعدهم من غضبه؛ الصلاة، والقرآن، والرحمة بالضعيف، والنظافة، والصدق، والحياء..

تدريبه على طاعة الوالدين: إذا لم يتمرن ويتدرب على طاعة الوالدين فإنه لا يتقبل ما يصدر منهما من نصائح وإرشادات ولا يطيعهما. وقيل: "جرأة الولد على والده في صغره، تدعو إلى العقوق في كبره". وأفضل الوسائل على الطاعة هو إشعاره بالحب والحنان والتقدير والاحترام من قبل الوالدين. وتقبيل الطفل من أفضل الوسائل لإشعاره بالحب والحنان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا من قبلة أولادكم، فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة".

الإحسان إلى الطفل وتكريمه: والطفل نحترم فيه شخصيته ولا نكسرها، ونعترف بمكانته في الأسرة وفي المجتمع، ونسلط الأضواء عليه ونشعره بأنه ينتمي إلينا وننتمي إليه، ونمدحه على ما ينجزه من أعمال وإن كانت يسيرة، ونتجاوز عن بعض الهفوات، ولا نحمله ما لا يطيق، وهذا له تأثير كبير على جميع جوانب حياته، فيكتمل نموه. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "رحم الله من أعان ولده على بره".

"تراقب الأم مولودها مراقبة دقيقة بعناية ودراية. المحبة بلا دراية كساعٍ إلى الحرب بلا سلاح. ومن لا دراية له ولا محبة فتوكيله على الأطفال كتوكيل الثعلب على الدجاج. الأطفال في أيدي الخدم كارثة. ومن أنواع الخدَم المأجورين محاضن رِبْحية تغدو الموظفة الكادحة بفلذات كبدها إليها لما ترى من زخرفة الإعلانات ولباس "المربيات" ولُعَب الساحة. من أهم ما تندب إليه المؤمنات أنفسهن إنشاء محاضن تعمل فيها أمهات متطوعات صالحات يُصلح حضورهن ومراقبتهن ومِثالُ إخلاصهن وإشعاع إيمانهن ما تميل الأيدي الأجيرة لإهماله وإفساده".

التوازن بين اللين والشدة: تكريم الطفل والإحسان إليه والحب والحنان يجب أن لا يتعدى الحدود المتعارف عليها، وأن لا يصل إلى درجة الإفراط في كل ذلك، وأن لا يترك له الحرية المطلقة في أن يعمل ما يشاء، أي لا إفراط ولا تفريط، بل أمر بين أمرين، فلا بد من وضع أسلوب معتدل ومتوازن من قبل الوالدين؛ فلا يتساهل كل التساهل، ولا يعنف ويشتد على كل شيء، حتى يجتاز مرحلة الطفولة. وإذا ارتكب الطفل بعض المخالفات السلوكية، على الأبوين أن يُشعرا الطفل بأضرار هذه المخالفة ويقنعانه بتركها بأسلوب جيد، فإذا لم ينفع يأتي دور التأديب أو العقاب المعنوي والعاطفي.

العدالة بين الأطفال: خاصة بين البنت والولد، يجب أن يكون الحب والرعاية والاهتمام بهما متساويا، وأن ينتبه الأبوان إلى ظاهرة الغيرة عند الطفل الأكبر، وأن يعدلا فيما بينهما في المأكل والملبس وشراء اللعب، و... حتى لا تتطور العلاقة بينهما إلى عداء وكراهية ينعكس أثرهما على النمو النفسي والعاطفي والاجتماعي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف". ومن صدق العدالة والمساواة عدم إقامة المقارنة بين الأطفال في صفاتهم الجسمية والمعنوية والنفسية، فلا يصح أن يقال: فلان أجمل من فلان، أو فلان أذكى منه أو أكثر خلقا.. لأن هذا يؤدي إلى الحقد والعداء بينهما.

والعدالة بين الأطفال تعني أن تتخذ أسلوبًا للتشجيع بأن تخصص هدية إضافية لمن يعمل عملًا صالحًا، فإن ذلك ضروري لتشجيع الطفل على العمل الصالح وسلوكه، والاهتمام بدراسته وتنظيم أموره المدرسية والبيتية، وتحصل أيضًا منافسة فيما بينهما، وعلى الوالدين التعرف على نفسية أطفالهم والتعامل بحذر ، وابتكار الأساليب الناجحة مع حالاتهم النفسية في التشجيع.

الحرية في اللعب: اللعب استعداد فطري عند الأطفال له أثر نفسي على الطفل إذ ينمي مواهبه وقدراته على الإبداع، ومن خلاله يتحقق النمو النفسي والعقلي والاجتماع.

ويجب أن يكون اللعب سليمًا واللعب سليمة، لأنها تترك آثارًا على سلوك الطفل وتصرفاته. وينبغي أن تمنح الحرية للطفل في اللعب واختيار ما يروقه من لُعب دون ضغط أو إكراه مع المراقبة عن بعد. جاء في الأثر: "لاعبه سبعا..."، وكان الحسن والحسين عليهما السلام يركبان ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان: حِل حِل، فيقول صلى الله عليه وسلم: نعم الجمل جملكما.

واللعب مع الأطفال يمنحهم الإحساس بالمكانة المرموقة، وُيدخل عليهم البهجة والسرور، وهو وسيلة لتربيتهم وتعليمهم اجتماعيًا وخلقيا.

التربية الجنسية وإبعاد الطفل عن الإثارة: وهي من أصعب أنواع التربية التي تسبب الإحراج للوالدين. فالطفل سواء كان ذكرا أم أنثى يتساءل عن كثير من الأمور المتعلقة بالجنس، وهذه الأسئلة طبيعية ولا داعي للمخاوف منها، بل يجب على الأبوين الإجابة عن جميع أسئلة الطفل واستفساراته إجابة شافية وصريحة ومنسجمة مع فهم الطفل وإدراكه، وهناك استفسارات ورغبات عند الطفل يجب أن تُعالج بصورة هادئة ومرنة.

والطفل في هذه المرحلة يحاكي سلوك الأبوين ويقلدهما فيعمل ما يعمله أبواه، لذلك وجب الحذر فيما قد يصدر بينهما من الأمور الجنسية. وعلى الأبوين أن يراقبا سلوك أبنائهما وطريقة لعبهم، وخصوصًا في أماكن اختلائهم بعضهم بالبعض الآخر، قال صلى الله عليه وسلم: "فرقوا بين أولادكم في المضاجع إذا بلغوا سبع سنين"، وفي وقتنا الحاضر وبعد انتشار أجهزة الإنترنيت والتلفزيون والفيديو والفضائيات والمجلات وصور الخلاعة و... تكون الحاجة ماسة إلى مراقبة الأطفال.